كايات كليلة ودمنة
2

الأسد والثور

بقلم: ا. عبد الحميد عبد المقصود
بريشة: ا. عبد الشافى سيد
إشراف: ا. حمدى مصطفى



الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

عَاشَ (دِمْنَةُ) في صُحْبَةِ الأَسدِ ، فَارْتفعَتْ منْزلَتُه عِنْدهُ ، حتى صارَ أَنيسَهُ وجَليسَهُ ، وصَديقَهُ ورفيقَهُ ومُسْتشارَهُ في كلِّ كَبيرٍ وصَغيرٍ ، وكلِّ جادٍّ وخطيرٍ منَ الأُمورِ ..

وذاتَ يوْمٍ اختَلى (دِمْنَةُ) بالأَسَدِ ، فقالَ لهُ :

- أَراكَ أيُّها المَلِكُ قدْ فضَّلْتَ الإقامةَ في مكانٍ واحدٍ ، ولا تُريدُ أنْ تَبْرَحَهُ ، فما هو السرُّ في ذلك ؟!

وقبْلَ أَنْ يُجيبَ الأسدُ على سؤالِ (دِمْنَةَ) خارَ الثَّوْرُ (شَتْرَبَةُ) خُوَارًا شَديدًا مِنْ مكانِه في المَرْجِ الأَخْضرِ القَريبِ ، فارْتعَدَتْ مَفاصلُ الأَسدِ وخافَ خوْفًا شديدًا (لأنَّهُ لمْ يكُنْ قدْ سَبقَ لهُ رُؤْيةُ ذلك الثَّوْرِ ، أو سَماعُ صَوْتِهِ) ..

لكنَّهُ تمالَكَ نَفْسَه ، حتى لا يَظْهرَ خَوْفُه منْ ذلك الوَحْشِ الغريبِ أمامَ (دِمْنَةَ) فيكونَ عُرْضَةً لاحْتِقارِهِ ، واسْتِصْغارِ شأْنِه ..





لكنَّ (دِمْنَةَ) كانَ قد لاحظَ بِفِطْنَتِهِ أنَّ صَوتَ الثَّوْرِ قدْ أفْزَعَ الأَسدَ ، وأَدْخَلَ الرُّعْبَ فى قلْبِه .. فالْتفَتَ إلى الأسدِ قائلاً فى أدبٍ :

ـ هلْ ظنَنْتَ أنَّ ذلك الصَوْتَ يمكنُ أنْ يُخيفَ أيُّها الْملِكُ ؟!

فقالَ الأسدُ فى خجَلٍ :

ـ ما ظَنَنْتُ أنَّ صوْتًا يمكنُ أنْ يُخيفَ مثلَ ذلكَ الصَوْتِ ..

فقالَ (دِمْنَةُ) فى أدبٍ :

ـ ليْسَ خَليقًا بملِكٍ مُهابٍ مثْلِكَ أنْ يتْرُكَ مكانَهُ ، ويرْحَلَ عنْهُ منْ أجْلِ صَوْتٍ سَمِعَهُ .. وقدْ قالَ الْحُكماءُ :

ليْسَ منْ كلِّ الأصْواتِ تجبُ الْهَيْبَةُ والْخَوْفُ ..

فقالَ الأَسَدُ :

ـ صدقْتَ يا مُسْتَشارِى النَّاصِحَ الأمِينَ ..



وقال (دِمنةُ) :

- إنَّ هذا الصَّوْتَ الذى أَخَافَنَا لوْ سِرْنا إلَيْه ، لَوَجَدْنا صاحِبَهُ أَهْوَنَ وأَضْعَفَ مِمَّا صَوَّرَهُ لنا صَوْتُه الْجَهِيرُ ..

فقالَ الأَسَدُ :

- رُبَّما .. لكنَّنى لا أَجِدُ بى رَغْبَةً فى الذَّهَابِ إلَيْهِ ..

فقال (دِمْنَةُ) :

- إنْ شِئْتَ أَيُّها الْمَلكُ بقيتَ فى مَكانِكَ ، وأَرْسَلْتَنى حتَّى آتِيَكَ بكلِّ شَىْءٍ عنْ صاحِبِ ذلكَ الصَّوْتِ ..

فوافقَ الأَسَدُ على اقْتِراحِ (دِمْنَةَ) وانْطَلقَ (دِمْنةُ) نحْوَ ذلك الْمَرْجِ الأَخْضَرِ ، الذى يُقيمُ فيهِ الثَّوْرُ (شَتْرِبَة) لاسْتِطْلاعِ الْخَبَرِ ..

وندِمَ الأَسَدُ ندمًا شديدًا على تسرُّعِهِ في إرْسال (دِمْنَةَ) إلى ذلك الشَّخْصِ المَجْهول ، صاحِبِ الصَّوْتِ الجَهْوَرِيِّ ، وقال في نفْسِه :

ـ لقدْ أخطأْتُ في إرْسالِ (دِمْنَةَ) وحدَهُ .. لقدْ كانَ شَخْصًا وَضيعًا حتَّى وقْتٍ قريبٍ ، وهو داهِيَةٌ أريبٌ .. مَنْ أدْراني أنْ يكُونَ صاحِبُ الصَّوْتِ الجَهيرِ عدُوًّا لي ، وأنَّهُ لا يُسْلِمُني إليْه ؟! مَنْ أدْراني أنَّه لا يتحالَفُ مع عدُوِّي ضِدِّي ؟ لقدْ أخْطأْتُ ، ويجبُ أنْ أُسْرِعَ بإصْلاحِ خَطَئي ، قبْلَ أنْ يحْدُثَ ما لا تُحْمَدُ عُقْباهُ ..

واسْتَعَدَّ الأَسدُ لِمُغادرةِ منْزِلِهِ ، حتَّى يلْحَقَ بـ (دِمْنَةَ) لكنَّ (دِمْنَةَ) رجعَ إليْهِ في تلْكَ اللَّحْظَةِ ، فقالَ له :

ـ ماذا رأيتَ هُناكَ ؟!

فقالَ (دِمْنَةُ) :

ـ رأيتُ ثورًا هو صاحِبُ الصَّوْتِ الجَهيرِ ، الذي سَمِعْتَه ..

فقالَ الأَسَدُ :

ـ صِفْهُ لي ، وصِفْ لي مَدَى قُوَّتِه ..

فَأَخذَ (دِمْنَةُ) يصِفُ له الثَّوْرَ وصْفًا دَقيقًا ، ثم خَتَمَ كلامَهُ قائِلاً :

- ولَقدِ اقْتَرَبْتُ مِنْه وحاوَرْتُهُ ، فلَمْ أَجِدْ له قُوَّةً تتَناسَبُ معَ صَوتِه ..

فقالَ الأَسَدُ مُسْتَنْكِرًا :

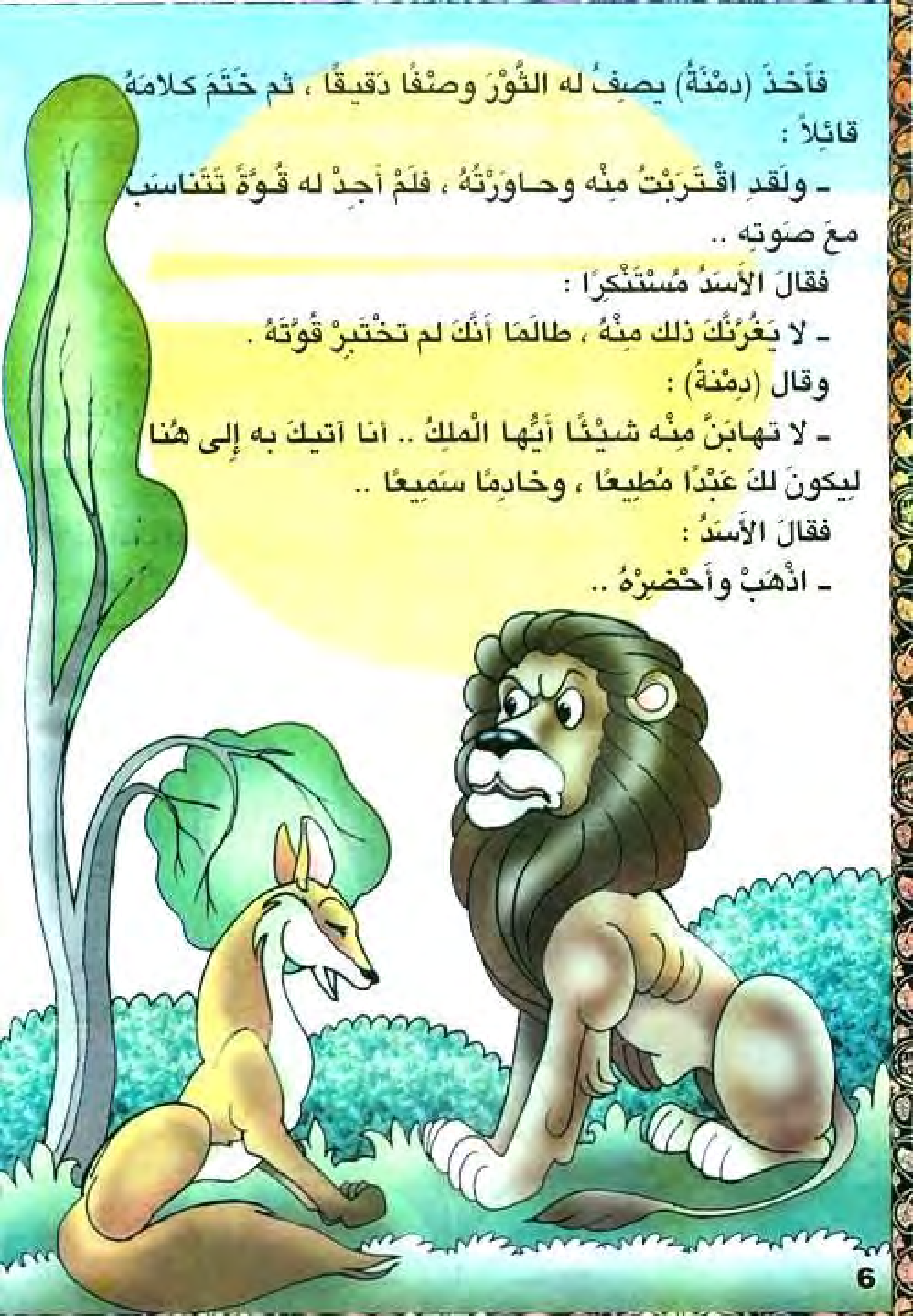
- لا يَغُرَنَّكَ ذلك مِنْهُ ، طالَمَا أَنَّكَ لم تخْتَبِرْ قُوَّتَهُ .

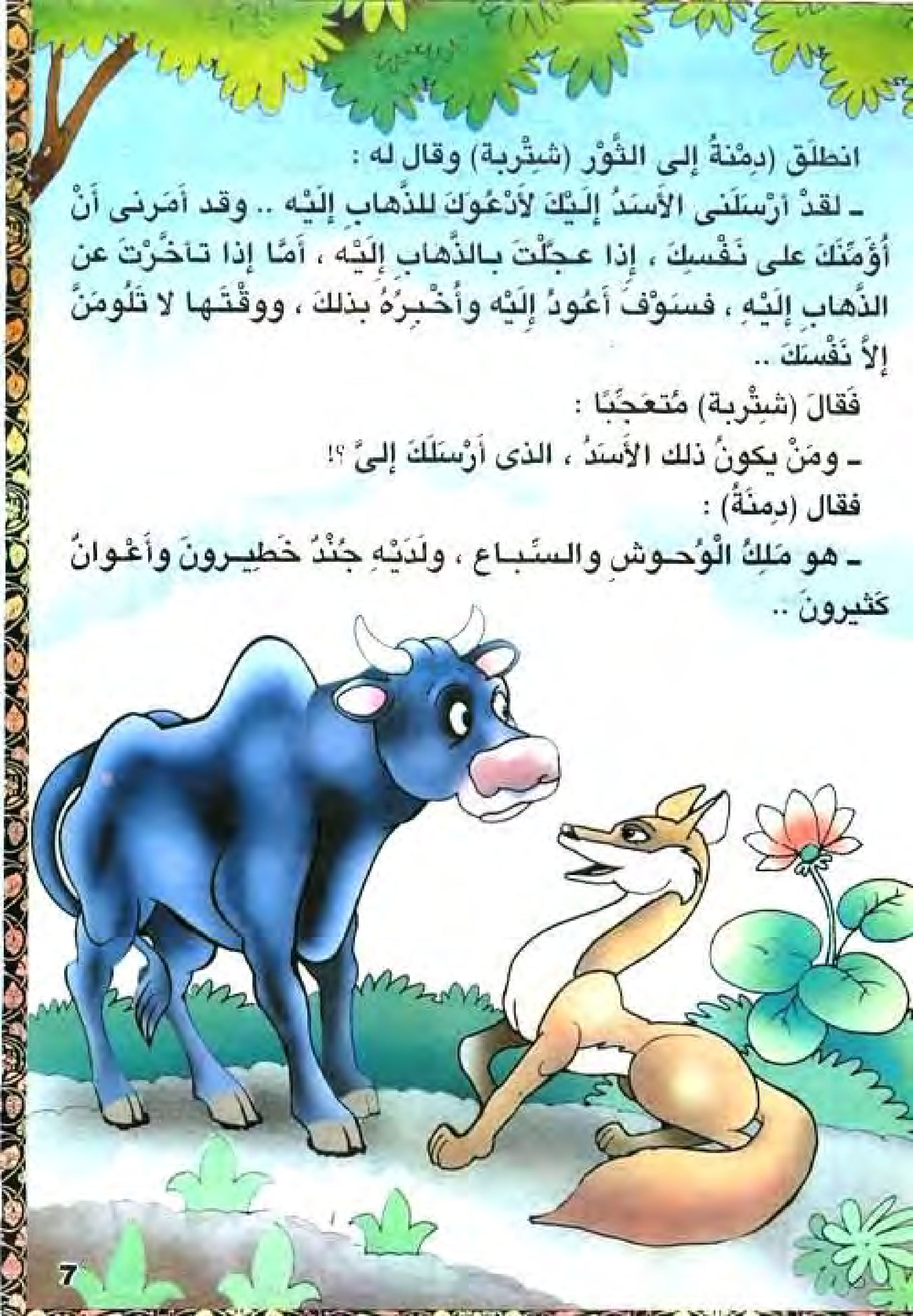
وقال (دِمْنَةُ) :

- لا تهابَنَّ مِنْه شيْئًا أَيُّها المْلِكُ .. أنا آتيكَ به إِلى هُنا لِيكونَ لكَ عَبْدًا مُطِيعًا ، وخادِمًا سَمِيعًا ..

فقالَ الأَسَدُ :

- اذْهَبْ وأَحْضِرْهُ ..





انطلَقَ (دِمْنةُ إلى الثَّوْر (شِتْرِبة) وقال له :

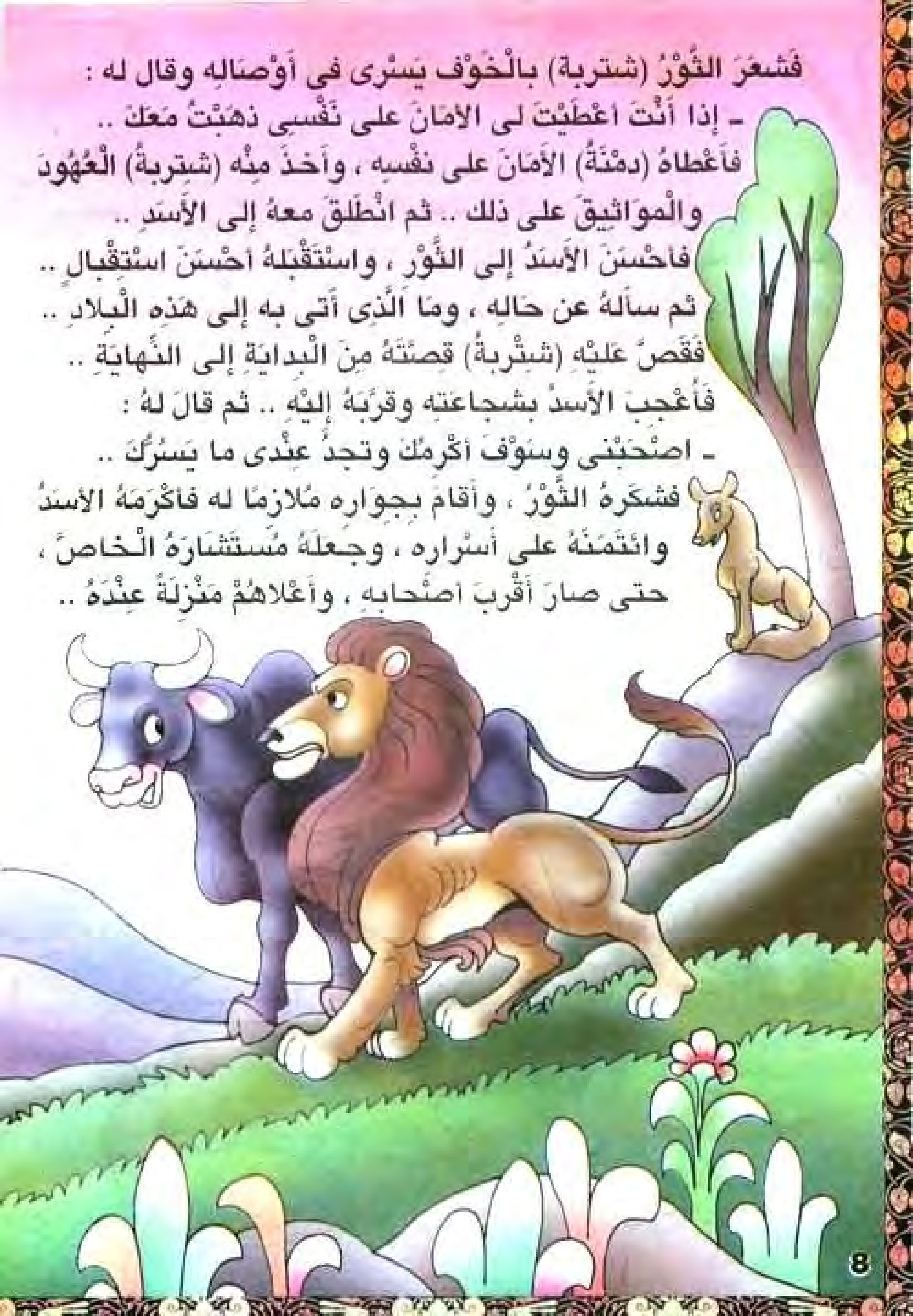
ـ لقدْ أرْسَلَني الأَسَدُ إلَيْكَ لأَدْعُوكَ للذَّهابِ إليْه .. وقد أمَرني أنْ أُؤَمِّنَكَ على نَفْسِكَ ، إذا عجِلْتَ بالذَّهابِ إلَيْه ، أمَّا إذا تأخَّرْتَ عن الذَّهابِ إليْهِ ، فسَوْفَ أعودُ إليْه وأُخْبِرُهُ بذلكَ ، ووقْتَها لا تَلُومَنَّ إلاَّ نَفْسَكَ ..

فَقالَ (شِتْرِبة) مُتعَجِّبًا :

ـ ومَنْ يكونُ ذلك الأَسَدُ ، الذى أَرْسَلَكَ إلىَّ ؟!

فقال (دِمنَةُ) :

ـ هو مَلِكُ الْوُحوشِ والسِّباع ، ولَدَيْهِ جُنْدٌ خَطِيرونَ وأَعْوانٌ كَثيرونَ ..



فَشعَرَ الثَّوْرُ (شتربة) بالْخَوْف يسْرِى فى أَوْصالِه وقال له :
- إذا أَنْتَ أعْطَيْتَ لى الأمانَ على نَفْسِى ذهَبْتُ معَكَ ..
فأَعْطاهُ (دمْنَةُ) الأَمانَ على نفْسِه ، وأَخذَ مِنْه (شتربةُ) الْعُهُود والْمواثِيقَ على ذلك .. ثم انْطلَقَ معهُ إلى الأَسَدِ ..
فأحْسَنَ الأَسَدُ إلى الثَّوْر ، واسْتَقْبلهُ أحْسَنَ اسْتِقْبالٍ ..
ثم سألهُ عن حالِه ، وما الَّذِى أَتى به إلى هذه الْبلادِ ..
فَقَصَّ عليْهِ (شتْربةُ) قِصَّتَهُ مِنَ الْبِدايَةِ إلى النِّهايَةِ ..
فَأَعْجِبَ الأَسدُ بشجاعَتِه وقرَّبَهُ إليْهِ .. ثم قالَ لهُ :
- اصْحَبْنى وسوْفَ أكْرِمُكَ وتجِدُ عِنْدى ما يَسُرُّكَ ..
فشكَرهُ الثَّوْرُ ، وأقامَ بِجِوارِه مُلازِمًا له فأكْرَمهُ الأسدُ وائْتَمَنَهُ على أسْراره ، وجعلَهُ مُسْتَشارَهُ الْخاصَّ ، حتى صارَ أقْربَ أصْحابِه ، وأعْلاهُمْ منْزِلَةً عِنْدَهُ ..



ولما رأى (دِمْنَةُ) أنَّ الأَسَدَ قدَّمَ الثَّوْرَ عليْهِ ، وعلى جَميع أَصْحابِهِ ، واخْتَصَّهُ برأْيِهِ ومَشُورَتِهِ وأَسْرارِهِ ، غاظَهُ ذَلك غَيْظًا شَديدًا ، وحسَدَهُ حسَدًا عَظيمًا ، فذَهبَ إلى أَخِيه (كلِيلَةَ) وشَكَا إلَيْهِ قَائلاً :

- هَلْ رأَيْتَ يا أَخي مَا حَدثَ ؟! لَقدْ أَرَدْتُ نَفْعَ الأَسَدِ وأَغْفَلْتُ نَفْعَ نَفْسي .. لقدْ جَلَبْتُ له ثوْرًا اسْتَأْثَرَ بكلِّ شيْءٍ ، واحْتَلَّ مَنْزِلَتي ، فأَصْبح مُسْتَشارَهُ وكاتِمَ أَسْرارِهِ ..

فقال (كَليلَةُ) :

- وعلى أَيِّ شيْءٍ عَزَمْتَ يا أَخي ؟!



فقالَ (دِمْنَةُ) :

- كلُّ ما أَرْجوهُ هو أَنْ أَحْتالَ لأكلِ الْعُشْبِ هذا ، حتى أُفَرِّقَ بَيْنَهُ وبيْنَ الأسدِ ، حتى تعُودَ إلىَّ منْزِلَتى الرَّفيعةُ ، وأَعُودَ إلى سابِقِ عهْدِى عِنْدَهُ ، وإنِ استطعْتُ أنْ أُفرِّقَ بيْنَ الثورِ والْحياةُ يكُونُ أَفْضَلَ لى وللأسَدِ ، حتى لا ينْفرِدَ أحدٌ بِمُصاحَبَتِهِ ومُشاورتِهِ غيْرى ..

فقالَ (كليلةُ) متعَجِّبًا :

- وكيْفَ تقْدرُ على الثَّوْرِ ، وهو أَشدُّ مِنْك قوَّةً ، وأَشدُّ أَعْوانًا ، وأَكثرُ جُنْدًا ، وأهمُّ مِنْ ذلك كُلِّهِ أَنَّهُ يَتمتَّعُ بِحِمايَةِ الأَسَدِ ؟!

فقالَ (دِمْنَةُ) :

- رُبَّ صغيرٍ ضَعيفٍ بلَغَ بحيلَتِهِ ودَهائِه ما يَعْجِزُ عنْهُ كثيرٌ منَ الأقْوِياءِ ، وسَوفَ تَرىَ ما أنا فاعِلٌ بِعَدُوِّى ..

وتغيَّبَ (دِمْنَةُ) عِدَّةَ أيَّام .. ثم انْتَهزَ فُرْصَةَ غِياب الثَّوْرِ ودخلَ على الأسَدِ في مَجْلِسهِ وانْفَرَد به وحْدَهُ ، فسألَهُ الأسدُ قائلاً :

ـ لماذا تغَيَّبْتَ عنْ مَجْلِسِي كلَّ هذهِ الأيَّامِ .. لعَلَّ الْمَانعَ أنْ يكونَ خَيْرًا ..

فَقطَّبَ (دمْنَةَ) جَبينَهُ ورسَمَ على مَلامِحِهِ الْحُزْنَ .. ثم قالَ :

ـ ليْسَ خيْرًا أيُّها الْملِكُ ، وإنَّما هو شَرٌّ خَطيرٌ يُرادُ بِكَ ..

فَفَزِعَ الأسَدُ وقال :

ـ ماذا حدَثَ يا دِمْنَةُ ؟! تكلَّمْ ..

فقالَ (دمْنَةُ) في دَهاءٍ :



- حَدَّثَني صَديقى الأمينُ الصَّدوقُ عِنْدى ، أنَّ الثَّوْرَ (شَتْرَبة) قد اجْتَمعَ بقادَةِ جُنْدِك سِرًا ، وراحَ يَصِفُكَ بالضَّعْفِ والْعَجْزِ ، وأنَّه عازِمٌ على قِتالِكَ وقَتْلِك ، والانْفِرادِ بالْمُلْكِ مِنْ بَعْدِك .. وأنا أعْتَقِدُ أنكَ قدْ أخْطَأتَ أيُّها الْملِكُ حينَ قرَّبْتَهُ مِنْك وأطْلَعْتَه على أسْرارِك ومَناطِقِ ضَعْفِك ، ولذا طَمِعَ فى إزاحَتِكَ والانْفِرادِ بالْمُلْكِ مِنْ بَعْدِك ، ومعهُ قادَةُ جُنْدِك ..

فاغْتَمَّ الأسَدُ غمًا شديدًا ، ووقعَ فى نَفْسِه الْخَوْفُ مِنَ الثَّوْرِ وقادةِ الْجُنْدِ ، وأخَذَ (دِمْنَةُ) يُخَوِّفُهُ مِنَ الثَّوْرِ ويُحَرِّضُهُ ضِدَّهُ ..

فَقَالَ الأسَدُ :

- وبماذا تُشيرُ علىَّ أيُّها النَّاصِحُ الصَّدُوقُ ؟!





فقال (دِمْنَةُ) :

ـ يجبُ أَنْ تستَعِدُ لِلقاءِ عدُوِّكَ ، فإنَّ (شَتْربةَ) قدْ يدْخُلُ عليكَ فى أيَّةِ لحظةٍ وأَنتَ غيرُ مُسْتَعِدٍّ لَهُ ، فيَحْدُثُ مَا لا تُحْمَدُ عُقْباهُ ..

فقالَ الأسدُ :

ـ ومَنْ أَدْرانِى أَنَّه حقًّا يريدُ بى شرًا ، كما تزْعُمُ ؟!

فقالَ (دِمْنَةُ) :

إنَّ علامةَ ذلك أَنْ ترى لوْنَهُ مُتَغيِّرًا ، وترى أوْصالَهُ ترْتعِدُ ، وتراهُ يهُزُّ قرْنَيْهِ ويتلفَّتَ حوْلَهُ مِنَ الْغَضَبِ ..

فأيْقَنَ الأسدُ أنَّ (دمْنةَ) لمْ يخْدَعْهُ ، وبدأَ يستَعِدُّ لِلقاءِ الثَّوْرِ ..

وانْطلقَ (دِمنةُ) للقاءِ (شِتْربة) فلمّا راهُ رَحّبَ بهِ وَسَألهُ عَنْ سَببِ انْقِطاعهِ عَنْهُ طُوالَ هذه الأيام ، فقالَ له :

ـ ما مَنَعني عَنْك إلا شرٌ يُريدهُ الأسدُ بكَ ، وقدْ كُنْتُ أُحاولُ قدْرَ جُهْدى دَفْعَ هذا الشرَّ عَنْكَ ، فلما لمْ أُفْلحْ أتيْتُ لأُحذِّركَ ، حتى تكونَ مُسْتعدًا للقاءِ عَدُوِّكَ ..

فوقَعَ الْخوْفُ في نفْسِ (شِتْربة) وقال :

ـ الأسدُ يريدُ قَتْلي ؟!

فقالَ (دِمْنَةُ) في حُزْنٍ مُصْطَنَع :

ـ لقدْ عزَمَ على أنْ يتغذَّى بك مَع أصْدقائهِ ، وأنْتَ تعلمُ أنّى قدْ أعْطَيْتُكَ عهْدًا بالأمانِ على نَفْسِكَ ، ولولا هذا الْعَهْدُ ما جِئْتُكَ ، حتى تأْخُذَ حذْرَكَ وأخْلُو منْ ذَنْبِك ..



وظلَّ (دمْنة) يُوغِرُ صدْرَ الثَّوْرِ ويُحرِّضُهُ على الأسدِ ، حتى وَقَعَ الْخَوْفُ والْغضَبُ فى صَدْرِه من الأسدِ ، وهو الذى ظَنَّ أنَّ الأسدَ صديقُهُ الصَدُوقُ ، فكيْفَ يَغْدرُ بهِ ، ويَنْصبُ له الْمصائِدَ والْمكائِدَ ؛ حتى يَغْتالَهُ ، ويتغذَّى عليْه ؟!

فقالَ (شتْربة) :

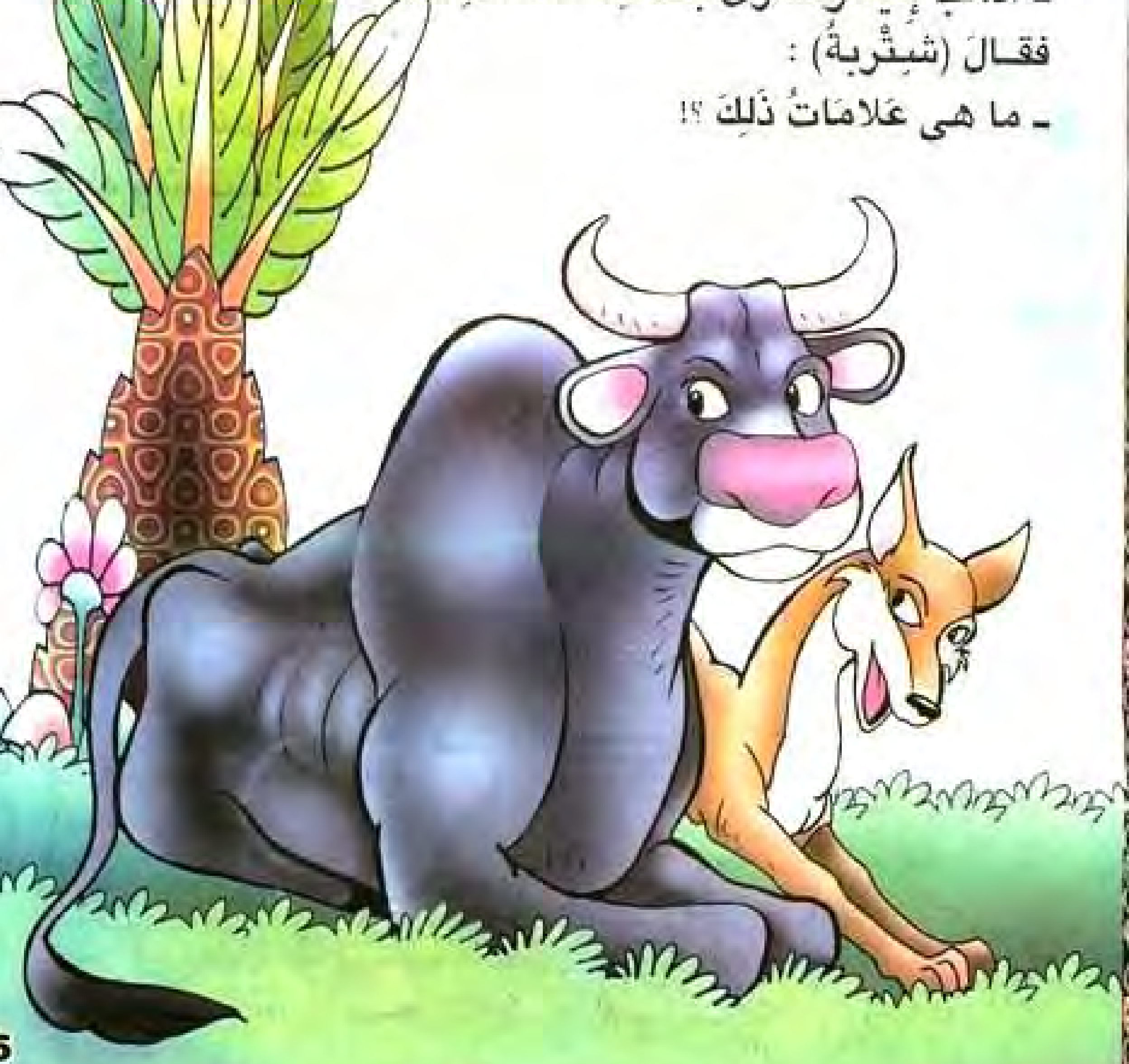
- لنْ أشْرَعَ فى قِتالِ الأسَد ، حتى أرَى غدْرَهُ ومكْرَهُ ، وما انْتَوَاهُ لى مِنْ شَرٍّ ، وما دبَّرَ لى مِنْ مَكْرٍ ..

وقالَ (دِمْنةُ) مُحرِّضًا :

- اذْهبْ إليه وسترى بنَفْسِكَ علاماتِ ذلِكَ ..

فقالَ (شتْربةُ) :

- ما هى عَلامَاتُ ذَلِكَ ؟!



فقالَ (دِمْنَة) :

ـ سترى الأسدَ حينَ تدْخُلُ عليْه جالسًا على ذَيْلِهِ ، رافِعًا صَدْرَهُ ، مُرْهِفًا أُذُنَيْه للسَّمْعِ ، مادًا بصَرَه الحادَّ نَحْوَكَ وقد مَلأَهُ الْغَضَبُ مِنْك ..

وهكذا نصَبَ (دِمنةُ) شِباكَ مَكْرِهِ ودَهائِهِ حَوْلَ الصَّديقَيْنِ الْحَميمَيْنِ الْمُتَحابَّيْنِ ، فأَوْقعَ بينهما الْعَداوةَ والْبَغضاءَ والْقَطيعَةَ والشَّحْناءَ ..

فلما دخَلَ الثَّوْرُ على الأسدِ ، تحقَّقَ كُلٌّ منْهُما مِنَ الْعَلامات التى ذكَرهَا (دِمْنَةُ) فوثَبَ كُلٌّ مِنْهما على صَاحِبه ، مُحاوِلاً قتْلَه ، وظلا يتقَاتَلانِ فَتْرَةً مِنَ الْوَقْتِ ، فأُصيبَ كلٌّ مِنْهما بجُروح خَطيرةٍ .. وفى النِّهايةِ وثَبَ الأسدُ على الثَّوْرِ وَثْبةً قويَّةً فقتلَهُ ..

وجلسَ الأسَدُ يَبْكى حَزينًا على فَقْدِ أعَزِّ أصْدِقائِه ، وأَخْلَصِ أعْوانِه ومُسْتَشارِيهِ ..

تَمَّت

رقم الإيداع ١٠ / ٣٧١

الترقيم الدولي ٧ ـ ٣١٥ ـ ١٦٦ ـ ٩٧٧

الْكِتابُ الْقادِمُ :

دِمْنَةُ مُجْرِمًا

